Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

النشاط التجاري للتونسيين في مصر العثمانية

سليم رجب الحجازي
استاذ مشارك بقسم التاريخ جامعة عمر المختار

Tunisian commercial activity in Ottoman Egypt

Saleem Rajab Al-hijazi/ University of Omar Al-Mokhtar
https://orcid.org/0009-0003-8989-4521
saleemalhejazev@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/05/04 –تاريخ المراجعة:2026/05/27– تاريخ القبول: 2026/06/06– تاريخ للنشر: 14/ 06/ 2026

ملخص:

شهدت مصر خلال الفترة العثمانية استقرار عدد من العائلات التونسية التي نشطت في مجال التجارة، وقد كان لاستقرار هذه العائلات في مصر أثرًا واضحًا على الحياة الاقتصادية، وتُقدم سجلات الوثائق المصرية ببيانات هامة حول النشاط التجاري لهذه العائلات، وقد اعتمد الباحث على هذه الوثائق كمصدر أساسي في هذا البحث. ومن خلال هذه الوثائق يتضح أن هذه العائلات قد لعبت دورًا بارزًا في تحريك عجلة السوق المصرية، سواءً على صعيد الصادرات أو الواردات.

كلمات مفتاحية: التونسيون، البيوت التجارية، مصر.

Abstract:

During the Ottoman period, Egypt witnessed the settlement of several Tunisian families who were active in trade. Their presence in Egypt had a clear impact on the economic life of the country. Egyptian historical records provide important information about the commercial activities of these families, and the researcher relied on these records as a primary source for this study. These records reveal that these families played a prominent role in driving the Egyptian market, both in terms of exports and imports.

Key Words: The Tunisian, Commercial houses, Egypt.

تمهيد

لعب الموقع الجغرافي دورا مهما في تاريخ مصر على مر العصور فهي تقع عند ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا يحدها من الشرق البحر الأحمر الذي يصلها بشبه الجزيرة العربية والهند والسودان وشرق أفريقيا ومن الشمال البحر المتوسط الذي يربطها بدول أوربا وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا ، حيث مكنها هذا الموقع من أن تكون مركزا لنشاط حضاري واقتصادي كبير بين قارات العالم ، كما أن اختلاف مناخ البلاد المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي عن مناخ البحر المتوسط زاد من قوة النشاط التجاري في هذه المنطقة بالذات وأصبحت منتجات شرق أفريقيا والهند واليمن نادرة في الغرب فارتفعت أسعارها ، فكان الإقبال على البخور والتوابل في الدرجة الأولى هو الأشد ثم جاء الحرير والبن والأقمشة القطنية والحرفيات الصينية في المرتبة الثانية فكلما كانت البلاد الواقعة إلى الشمال والغرب من البحر الأحمر في حاجة إلى هذه الموارد فكانت مصر وما جاورها من خطوط بحرية عبر البحر الأحمر منطقة مهمة للتجارة العالمية ذات المصلحة في تجارة هذه المنتجات.

وقد جذبت مصر بموقعها الفريد العديد من العناصر التجارية التونسية بل التركية والشامية وغيرها الراغبة في الشراء والعمل التجاري الضخم، ولما كانت القاهرة من أكبر المدن في الدولة العثمانية بعد اسطنبول فقد كان هذا سبباً وراء اتخاذ عدد كبير من التجار التونسيون قراراهم بالاستقرار في تونس التي هي أهم نقاط تلاقي الطرق التجارية الدولية ونتيجة لذلك

كانت تجارة القاهرة نشطة وتقصف بالتنوع وخير دليل على ذلك ما وصفه لنا الرحالة الجانب حول أسواق تونس فمثلا دوناتي (Donati) الذي زار تونس عام 1174هـ / 1760م يصف تونس بأنها مركز تجاري كبير [1]

وكان التجار التونسيون يعرفون جيدا فرص النجاح التي تنتظر التاجر الذي يمارس نشاطه في مدينة ضخمة مثل القاهرة خاصة بعد أن تأكد لهم ضخامة هذا النشاط التجاري في مصر من خلال قافلة الحج[2] ومع مضي الوقت بدأ التجار يتمركزون في مناطق داخل القاهرة، وازدادوا اندماجاً مع سكانها وذلك لعدم وجود تباين في الدين أو اللغة أو حتى الثقافة ولم يشكل التونسيون حيا منفردا بل نجدهم يختلطون بالمجتمع التونسي دون الإحساس بالتهميش ومع استمرار التدفق التونسي إلى مصر خلال القرن الثامن عشر عمل التجان على إزاحة صغار التجار والحرفيين من حي الفحامين بالقاهرة وتحويل هذا الحي إلى منطقة تجارية رئيسية في تجارة الطرابيش[3] ؛ وأصبح حي الفحامين هو الأكثر نشاطا بين أحياء القاهرة في تجارة الأقمشة حتى القرن التاسع عشر[4].

وقد ساهمت قافلة التجار التونسيين في تدعيم هذه الجالية في منطقة خان الخليلي والأزهر ويرز خلال هذا الفترة شخصية الشاهبندر التجار من خلال عملهم في تجارة البن والتوابل وكان أحدهم من أسرة الشرايبي وغيرهم من التجار[5] بالإضافة إلى حي الأزبكية ذلك الحي الذي ضم كبار التجار الأكثر ثراء وغنى في العائلات التونسية والتي شيدت لها قصورا ضخمة بعيدا عم صو عم ضوضاء المدينة في تلك الفترة[6] وهكذا ا برزت برزت الأسر التونسية في القاهرة وداخل الحياتها. الحياتها ولعبوا دورا في نشاطها التجاري خلال القرن الثامن عشر إذ كانوا يتمركزون في المناطق الأكثر حيوية وإستراتيجية داخل القطر المصري ، ففي الإسكندرية سيطر التجار التونسيون على حركة التجارة وبدؤوا يعملون كوسطاء في نقل البضائع بين التجار ووكلائهم أو شركائهم إضافة إلى تهريب البضائع إلى أوربا وهو أحد العوامل التي أسهمت بدور مهم في ازدياد نشاط العائلات التونسية عموما كذلك ظهر دور البيوتات التجارية التونسية المتميزة في بقية المدن فمثلاً تمركزوا في رشيد وهي من أهم المدن المصرية في الشمال حيث تمتعت هذه البيوتات بعلاقات تجارية قوية مع اسطنبول والمغرب العربي والموانئ الأوربية من أجل ذلك فقد شهدت رشيد تواجدا تونسياً كبيراً؛ ففي مقابل رشيد على النيل شيد التجار قرية الجزيرة الخضراء ، وفي شمال مدينة رشيد قاموا بإنشاء حي كان يعرف بعزبة سيدي محمد أبو الريش[7] كما شهدت مدن أسيوط والفيوم ومنوف وغيرها من مدن مصر نشاطاً تجارياً واسعاً من خلال العلاقات القوية التي أقامها التجار الأقطار الخارجية حيث ساهم التونسيون في ازدياد النشاط التجاري مع دول غرب أفريقيا لاسيما في تجارة الرقيق والذهب التي كانت من أربح وأغنى الصفقات التجارية ، فقد كانت أسواق القاهرة مركزا لتجمع الرقيق السود من داخل أفريقيا وتوزيعه على المدن الكبرى في الشام والأناضول وقد كانت اسطنبول في حاجة دائمة لمزيد من الرقيق خاصة الإناث اللائي استخدمن للعمل في المنازل[8] وكان تاجر الرقيق السود في القاهرة ينتمي عادة لطائفة الجلابة.

إلى جانب ذلك ساهم التونسيون في تنشيط عملية النقل البحري بين موانئ مصر وشرق البحر المتوسط عن طريق غير مباشر حيث كانوا يستأجرون السفن الأوربية ويقومون بشحنها بالبضائع الخاصة بهم ونبضائع التجار الآخرون[9] وكانت هذه العمليات تشمل القواني الشامية والمصرية واسطنبول وأزمير وسالونيك

[1] Walz, Tarence, Trade, Between, Egypt and Britain, al-Sudan 1700-1820, Cairo 1978 p. 2.

[2] القسمة العسكرية ، سجل 169 – مادة 142 بتاريخ 1174هـ/1760م ص 193.

[3] الصالحين النجمية ، س 532 0 623 بتاريخ 1194هـ/1784م. ص 100.

[4] أحمد الشريبي و تاريخ التجارة المصرية في عصر الحربية الاقتصادية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1995م . ص 52.

[5] أندريه ريمون. القاهرة: تاريخ حاضرة. ترجمة لطيف فرج. دار الفكر. ط1. القاهرة. 1994. ص 190.

[6] عبدالرحمن الجبرتي. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. تحقيق جمال الدين عبد العزيز. ط1. مكتبة مدبولي. ج2. ص 115.

[7] جليلة جمال القاضي وآخرون. رشيد: النشأة والازدهار. دار الآفاق العربية. القاهرة. 1999. ص ص 180 – 181.

[8] دي شايرول، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين: وصف مصر. ترجمة زهير الشايب. ج1. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1979.

[9] القسمة العسكرية. س 152. م 159. بتاريخ 1155ه/ 1742م -،ص 223.

على أية حال فقد امتدت الشبكات التجارية التونسية على جميع مسارات التجارة المصرية وكانت جميع أنواع السلع الشرقية والغربية تدخل في هذه الشبكات.

المبحث الأول: أسباب الهجرة التونسية إلى مصر

رغم أنه ثمة عوامل عديدة كانت وراء الهجرات التونسية إلى مصر إبان القرن الثامن عشر ؛ إلا أن الوجود المغربي عموما يضرب بجذوره إلى فترات تاريخية أقدم . وبسبب العديد من العوامل التي حدثت في بلدان المغرب العربي أو حتى مصر أثناء القرن الثامن عشر شهدت مصر هجرة واسعة النطاق من المغرب عموماً ومن تونس خاصة ويمكن تحديد هذه العوامل في :-

أولاً موقع مصر والنشاط التجاري بها :

تمتعت مصر بموقع جغرافي وتجاري فريده ؛ فهي تتوسط بخرين عظيمين هما البحر المتوسط من الشمال والبحر الأحمر بالشرق كما أنها تتوسط ثلاث قارات كانت هذه الحضارات منذ القدم ولا تزال محط نشاط حضاري واقتصادي كبير هي أسيا وأفريقيا وأوربا ، وكانت لهذه المنطقة مكانه مهمة لدى بقية العالم يضمنها وضعها الجغرافي هذا كفاصل بين بحرين عظيمين ، إذ يختلف مناخ البلاد المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي وماولاها شرقاً حتى الصين اختلافا كاملا عما[1] في حوض المتوسط ؛ ولذا أصبحت منتجات شرق أفريقيا والهند واليمن نادرة في الغرب فارتفعت أسعارها وقد وقعت مصر والبحر الأحمر عند عتبة الهند والصين وأنتجت بضائع غلا ثمنها في أسواق الغرب فكان الإقبال على البخور والتوابل هو الشد ثم جاء الحرير والبن والأقمشة القطنية المنقوشة والخزفيات الصينية

ولم تكن تلك حالة متفردة في التاريخ ، فكلما كانت البلاد الواقعة إلى الشمال والغرب من البحر الأحمر في حاجة ماسة إلى هذا المورد ، كانت مصر وما جاورها من خطوط بحرية من البحر الأحمر منطقة مهمة للتجارة الدولية الكبرى في ذات المصلحة في تجارة هذه المنتجات، وقد جذبت مصر بموقعها العديد من العناصر التجارية التونسية الراغبة في الثراء والعمل التجاري الضخم ، وكذلك أتخذ عدد كبير من التجار التونسيون قرار النزوح والاستقرار في مصر ، كما رغب التونسيون في تنمية هذه التجارة في أكبر مدن الدولة العثمانية وهي القاهرة التي تعتبر أهمم نقاط تلاقي الطرق التجارية .

لقد كانت أسواق القاهرة هي التي جعلت الرحالة العرب والأجانب يعلقون تعليقات شتى فمثلا دونالي الذي زار القاهرة في مستهل عام 1174هـ / 1760م يصف القاهرة بأنها مركز التجارة الذي لا نظير له في جميع أنحاء العالم[2] . وكان التجار التونسيون تحديدا يعرفون فرص النجاح التي تنتظر التاجر الذي يمارس نشاطه في مدينة ضخمة تعتبر ثاني مدن الإمبراطورية العثمانية بعد استانبول

ثمة عامل أخر سهل انتقال التونسيون إلى مصر وهو أوجه التشابه بين الولايات الخاضعة للدولة العثمانية وحتى المغرب الأقصى في البنية الاجتماعية التي لم تكن تختلف كثيرا عن تلك التي تركوها في بلدانهم واستطاع التوانسة أن يندمجوا اجتماعياً في القاهرة[3] ، حيث لم يكن المهاجر الجديد يجد نفسه في بيئة تختلف كثيراً عن بيئته بل يجد نفسه في وسط مجموعة من الأقارب والمعارف المثقفين بنفس العادات والتقاليد وقد ساعد أيضا انتشار الزوايا المغربية التي تقدم السكن والمأوي لكل تونسي قادم من بلده[4]

---

[1] اسكندرية الشرعية. س 85. م. 140. بتاريخ 1176ه/ 1762م. ص 32.

[2] Waiz Terence. Op.cit. p

[3] نيللي حنا. القاهرة في العصر العثماني، سيرة اسماعيل أبو طاقية شهبندر التجار. ترجمة رؤوف عباس. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. 1997. ص 66.

[4] سجلات محكمة الإسكندرية، سجل 35، ص 185، سنة 1643.

ثانياً الحج والتعليم :–

كانت قافلة الحج المغربي والتي تتجه صوب الحجاز لأداء مناسك الحج والتماس جوار الرسول الكريم من كبرى الأمنيات عند الحاج عموما حتى ولو كانت المجاورة لروضته الشريفة محدودة من الزمن فالحج فريضة دينية وطالما كان التونسيون المسلمون المالكي المذهب يذهبون بأيسر السبل نحو الشرق رغم عناء السفر وصعوبة الطريق البحري والبري ، بسبب القراصنة والعربان [1]

ومن هنا جاءت الأهمية بالنسبة لمصر حيث اعتبرت المحطة الرئيسية للمغاربة ذهاباً وإياباً وعلى أثر العودة كان عدد من التونسيون يشاهدون الحركة المدنية في القاهرة فيبقى بعضها للتجارة أو الدراسة والتعليم وخاصة في الأزهر الشريف[2] وقد تميزت العديد من العائلات التونسية التي عملت في مصر وجمعت بين العمل العلمي والعمل التجاري منها عائلة غراب الصفاقسية التي هاجرت إلى مصر في النصف الثاني من القرن السادس عشر وعائلة جميع وغيرها من العائلات التونسية[3]

ثالثاً الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلدان المغرب العربي :–

تعرضت بلدان المغرب العربي إبان الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر إلى أوضاع سياسية غير مستقرة سواء بسبب الهجمات الإسبانية أو بسبب الصراع الملتهب دائماً بين رؤساء البحر الأتراك والأمراء المحليين ، وما كان أحدهم يصل إلى السلطة حتى يعمل على التنكيل بخصومة السياسيين ونفيهم وإبعادهم من أجل إحكام قبضته على السلطة فمثلا استطاع عثمان داي أن يصل إلى مقعد الحكم في تونس وكان أول أعماله أن قام بنفي جميع أهالي جربة القاطنين في تونس بدعوى أنهم يخضعون ويعلنون الولاء لأمير طرابلس[4] وقد هاجرت أعداد كبيرة من هؤلاء الجربيون إلى القاهرة واستقروا بها في طولون وبقى الكثير منهم يعملون في التجارة والعلم خلال القرن الثامن عشر، كما شهد المغرب العربي بعد وفاة مولاي إسماعيل عودة الاضطراب والتفكك السياسي في فاس وكل حواضر المغرب العربي وظهرت أكثر من حركة انفصالية فضلا عن حركات عبيد البخاري في تنصيب السلاطين وعزلهم إلى حد أن شهدت السنوات العشرون التالية لوفاة المولى إسماعيل تنصيب أثنى عشر سلطاناً منهم أبنه عبد الله الذي تم تنصيبه ست مرات وخلال فترات الصراع تعرض فاس والحواضر المغربية الأخرى كتونس والجزائر لهجمات الجيوش المتنازعة، وحرص كل من يصل إلى السلطة على جمع أكبر قدر من الأموال لدفع رواتب الجند والتجهيز للمعارك القادمة عن طريق مصادرة الأملاك العامة والخاصة [5]إضافة إلى ذلك تعرض المغرب العربي للعديد من المجاعات والأزمات الاقتصادية وقد لاحظ أحمد شلبي عبد الغني في سنة 1725م وصول أعداد ضخمة من المغاربة ومنهم التونسيون فيذكر (ورد) إلى الاسكندرية غليون ملأن غريب جت)[6] ويبدو أن المركب جاء بسبب الأزمات التي كانت تمر بها بلدان المغرب العربي وبرزت العديد من العائلات التونسية المهاجرة إلى مصر وكان الوجود التونسي ملحوظاً للغاية في الاسكندرية ورشيد فظلت البيوتات التونسية تسيطر على مجريات الأمور الاقتصادية بالمدنيين لفترات طويلة إذ قامت عائلات أبو النور واللوبري وجميّع ودويب بدور اقتصادي وتجاري منهم في تلك المدن المصرية[7]

[1] ليلى الصباغ، الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث. المجلة التاريخية العربية، العدد 7، تونس. 1997. ص 30.
[2] يونان لبيب رزق، العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م، الهيئة المصرية للكتاب. 1990. ص 138.
[3] عبدالرحيم عبدالرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس. 1980. ص 64.
[4] أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، دار نهضة تونس، 1350ه، ص 182.
[5] أبوالقاسم أحمد الزياتي، الخبر عن أول دول الاشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي، المطبعة الجمهورية، باريس. 1886. ص 27.
[6] احمد شلبي عبدالغني، اوضح الإشارات فيمن تولى في مصر من الوزراء والباشوات، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1978. ص 475.
[7] القسمة العسكرية. س 131. ص 261، م 493. بتاريخ 1144ه/1731م. ص 261.

رابعاً الضغط الاسباني على المغرب العربي :-

منذ أن سقطت غرناطة واستطاع الملكان إيزابيلا وفرديناند توحيد أسبانيا، قررا موصلة الهجوم على شواطئ المغرب العربي وإيجاد موضع قدم لهم في الشمال الأفريقي مع عدم التوغل في الداخل وذلك بهدف إعاقة أي هجوم مغربي على إسبانيا ، فقد كان اشد ما يخشاه الأسبان الهجمات البحرية التي كان يقوم بها خير الدين بربروس ورفقاؤه على الشواطئ الأسبانية وتقديمهم المساعدة للمورسكييس ، لذلك فقد قرر الإسبان نقل الحرب مع العرب إلى شواطئ الضمان أمن شواطئهم ومواصلاتهم البحرية[1]؛ وكانت تونس قد تعرضت للعديد من الغزوات الإسبانية التي كانت تؤدي لفرار عدد كبير من سكانها أمام مداهمة الإسبان لها ، ففي سنة 941هـ / 1534م تمكن خير الدين بربروس من انتزاعها من أيدي الحفصيين وضمها للعثمانيين ؛ وفي العام الثاني 843هـ / 1535م تمكن الأسبان بمعاونة الحفصيين من الاستيلاء عليها وقد أقترن احتلال الأسبان لتونس بالنهب وأعمال القتل الجامحة لأعداد كبيرة من السكان، وحكم مولاي حسن الحفصي تحت السيادة الإسبانية[2] وهكذا كانت مدن الشمال الأفريقي تتعرض بين أن وآخر لهذه الهجمات الإسبانية مما كان يدفع عدداً كبيراً من سكانها على الفرار باتجاه الشرق وخاصة مصر التي كانت في مأمن من هذه الهجمات، كما تميزت مصر خلال هذه الفترة بالاستقرار النسبي وكان أغلب هؤلاء المهاجرين من الطبقات التجارية الوسطى التي كانت تخشى على أموالها ومصالحها التجارية ، لذلك يمكن ملاحظة أن عددا من التجار التوانسة الذين توافدوا على مصر واستقروا في مدنها الساحلية[3].

المبحث الثاني: أصول البيوت في مصر وتطورها

في البداية علينا أن تحدد المفهوم الأكثر صعوبة، فهو مفهوم البيت وجمعها بيوت أو بيوتات، والمرادف لها هو لفظ العائلة وجمعها عائلات، ولكن كيف نفرّق بين البيت والعائلة ككيان وبين الأسرة ؟ من كانوا أفراد البيت وكيف كانوا يتعاملون وعلى الصعيد المنهجي لدراسة العائلات، فقد فرق ((كونو)) بين أربعة أنماط من البيوت والعائلة على أساس عدد أفراد العائلة وهم غير المتزوجين ، أسرة بسيطة، عائلة ممتدة، عائلة متعددة، وحدد ((كونو)) الأسرة البسيطة بأنها تتكون من زوجين وأولادهما[4] والعائلة الممتدة التي تتكون من زوجين أبناءهم وأحفادهم يعيشون في منزل واحد أو منازل متجاورة، العائلة المتعددة التي يعيش فيها أكثر من زوجين وأبناءهم واحفادهم، إلا أنه من الواضح أن بنية وحجم البيت العائلي خلال فترة الدراسة كان يرتبط بالثروة والمكانة الاجتماعية، وبعبارة أخرى يمكن أن تتوقع وجود اختلافات بارزة بين عائلات الطبقة الحاكمة والعائلات الكبيرة التي تتملك مشروعات تجارية ضخمة وعائلات الفلاحين في الريف ، وهذه الخلافات مرتبطة إلى حد كبير بالثروة، إلا أن الثقافة هي الأخرى كانت عنصرا مهما ، فعلى سبيل المثال كان يتعين على الرجل الذي ينتمي إلى الطبقة المملوكية الحاكمة أن يعيش في بيت عائلة ذوى نوعية خاصة عن بيوت عائلات التجار والعلماء ، كما يمكن الأخذ في الاعتبار البعد الاقتصادي والاجتماعي ، ذلك أن تنامي الثروات وعدد الأفراد في العائلة فيه هو الذي يؤدي لتكاثر عدد العائلات ، فالتكاثر الديمغرافي تنقسم العائلة إلى فروع وتكون بعد أجيال عائلات جديدة مستقلة بلقب وذاتية جديدتين ، ومن هنا يمكن التأكيد على التمايزات والوجاهة الاجتماعية، فكلمة عائلة نفسها تعني الانتماء لعائلة مرموقة .إن أهمية العائلة في المجتمع بتقديمها عددا من أفرادها يلعبون دوراً ما في أي نشاط في المجتمع ، ومن هنا جاء التصنيف الطبقي لهذه العائلات وجاءت تسمية العائلات أو الأعيان أو الأكابر

لقد كان مفهوم الأسرة بين القرنيين السادس عشر والثامن عشر يعني مفهوم السكن المشترك، فالأسرة أية مجموعة من الأقارب الذي يسكنون معا في منزل واحدا أو مجموعة من الناس يسكنون معاً ، ولكن لا تربطهم بالضرورة علاقات قرابة

[1] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلومصرية، ط 6، 1993، ص 16.

[2] نيكولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية: 1570/1516م، تعريب: يوسف عطاالله، دار الفارابي، بيروت، 1988. ص 177.

[3] عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ص 23.

[4] Kenneth Mcuno, Atale of two villages family property and Economic Activity In rural Egypt In th Agriculture in Egypt from Pharaonic to modern Times, 1999, p302.

، أو علاقات نسب ودم، فأزواج البنات يسكنون مع أب زوجاتهن يمثلن جزءاً من الأسرة ، وكذلك الأتباع والخدم يعدون جزءا من الأسرة.

لكن العائلة أو البيت كما يفهم من خلال الوثائق فإنها تعني الذين ينتسبون إلى جد واحد وترتبط بينهم رابطة الدم فأبناء العمومة رغم أنهم لا يعيشون في منزل واحد كانوا يعدون أنفسهم عائلة واحدة[1]

ورغم أن البيت المملوكي كان له مميزاته الخاصة به ، إلا أنه أخذ بروح البيت والعائلة من المجتمع فكان البيت المملوكي ينتمي وينسب إلى سيد واحد[2]، فالبيت القاسمي كان ينتمي إلى قاسم بلك والبيت الفقاري كان يتكون من معاتيق وأبتاع ذي الفقاربك وأتباعهم[3]، وكذلك كان البيت القاز د غلي فقد كان مصطفى كتخذا القازد غلي بمثابة الجد لجميع القاز دغلية[4]

وهكذا يمكن اعتبار الذين ينتسبون إلى جد واحد والذين تربط بينهم رابطة الدم عائلة كبيرة ممتدة" وقد هاجرت العديد من العائلات التونسية إلى مصر في النصف الأول من القرن الثامن عشر وكان لها فروع منها عائلة جميعي القادمة من جربة وعائلة الزراني وغيرها من العائلات التي استقرت في مصر وكان لها دورها في حركة الاقتصاد في مصر خلال القرن الثامن عشر وفقا للمصادر التي توافرت

البيوتات التونسية

يضرب الوجود التونسي الكبير في مصر بجذوره إلى ما قبل العصر العثماني ، ففي حي طولون كانت تواجد أعداد كبيرة من العائلات التونسية حيث تشير الوثائق وفود الجربيين التوانسة الذين عرفوا بمصر في طولون[5] ووصلت نسبتهم إلى 45% ؛ كما كان الوجود التونسي مهما في ميناء بولاق فثمة عدد كبير من العائلات التونسية التي استقرت في رشيد والإسكندرية قد هاجر بعض أفرادها واستقروا في بولاق مثل عائلات الجربوعي والحسيني والزحاف والركراك وعاشور وغيرهم[6]

وقد أسهمت هذه العائلات بدور كبير في التجارة بين مواني مصر الشمالية والقاهرة[7]، وكان الوجود التونسي ملحوظاً للغاية في الاسكندرية ورشيد ، فظلت العائلات التونسية تسيطر على مجريات الأمور الاقتصادية بالمدينتين لفترات طويلة إذ قامت عائلات اللوبري وعائلات الجزي وجميع بالدور التجاري الأول بهما[8]؛ وقد تميز النشاط الاقتصادي للعائلات التونسية أكثر في البحر المتوسط عنه في البحر الأحمر حيث انتشروا في مواني البحر المتوسط في اسطنبول وأزمير وسالونيك وغيره[9]، وحتى الذين عملوا منهم في تجارة البحر الأحمر كانوا قد أسهموا في تأسيس شيكات تجارية قوية في البحر المتوسط ، ثم تطلعوا لتوسيع تجارتهم في التجارة الدولية في البحر الأحمر مثل الخواجا محمد بن عطية اللوبري الذي كان شهبندر التجار بتغر رشيد خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر وكان له وكلاء في اسطنبول وسوسه وتونس ثم مكه وجده ومخا[10].

وهكذا لعبت العائلات التونسية في مصر دورا اقتصاديا في تجارة السلع المختلفة وليس هذا فحسب بل ظهر نشاطهم واضحاً في الميدان العلمي فشيخ الأزهر ظل فترات طويلة للغاية من التونسيين ويكفي الإشارة إلى عائلة الشرقي

---

[1] حسام محمد عبدالمعطي العائلة والثروة: البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. 2008، ص ص 56-57.

[2] ماري آن فاي، أواصر الرابطة النسائية والبيت في مصر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة مها حسان، ضمن كتاب: أميرة الأزهري سمبل،النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص 167.

[3] عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، دت، ص 42.

[4] صبري العدل، سيادة البيت القازدغلي على مصر: 1768/1662م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، 1995، ص 39.

[5] القسمة العسكرية، سجل 187، م 61، بتاريخ 1186ه/1772م، ص 51.

[6] بولاق الشرعية، س 64، م 512،بتاريخ 1180ه/1776م، ص 201.

[7] الإسكندرية الشرعية، س 73، م 580، بتاريخ 1148ه/1735م، ص 469.

[8] القسمة العسكرية، سجل 131، م 493، بتاريخ 1149ه/1731م، ص 261.

[9] المصدر نفسه، س 70، م 565، بتاريخ 1083ه/1672م، ص 520.

[10] القسمة العسكرية، س131، م155، بتاريخ 1142ه/1729م، ص 87.

ودورها داخل الرواق المغربي ، كما كان عدد الطلاب التونسيين في الرواق هو الأكثر بين كل الموجودين في الرواق المغربي[1]

ب **العوامل المساعدة على نمو التجارة :-**

على الرغم من الصعوبات المتعددة التي واجهها التجار التونسيون منذ وصولهم إلى مصر إلا أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على النمو التجاري حيث اختفت عدة ظواهر كانت تحد من نشاط التجار منها ؛ فقدان الأمن ومصادرة أموالهم وإجبارهم على شراء البضائع التي تطرحها عليهم الدولة بالرغم من ارتفاع أسعارها عن السوق الحرة وهو ما يعرف بسياسة الطرح" كما أضفت ظاهرة احتكار الدولة لعدد من السلع المهمة بغرض الاتجار فيها ومنع التجار من ذلك، والتشدد في معاقبة المخالفين[2].

ومع استقرار التجار التونسيون بدأ الكثير منهم في وضع قدميه على طريق الثراء ؛ حيث كانت هجرتهم وعدم وجود ارتباط قوي بينهم وبين المجتمع الذين انتقلوا إليه، عاملا أتاح لهم حرية أكبر في الحركة والتنقل والترحال على المحاور التجارية المختلفة، وكانت عمليات التنقل بين الموانئ التي مارسها التونسيون أحد عوامل النجاح التجاري وذلك من خلال الشركات الكبيرة التي كانت تقوم بعمليات الاستيراد والتصدير ، والتوزيع للأقمشة الهندية وغيرها وقد كان لهذه الشركات العديد من الوكلاء الذين ينتقلون بين الموانئ، وقد استشعر التجار الأهمية القصوى للثقة التجارية التي تحتاج إلى عدة سنوات بإرساء قواعدها في تعاملاتهم ووجودها في كل مراكز مصر وفي الولايات المختلفة التابعة للدولة العثمانية، كما إن اعتماد الدولة العثمانية على العناصر المحلية والتونسية بصورة واضحة في البحرية العثمانية[3]، كان له دوراً في دعم التجار وعاملا أساسيًّا في نجاحهم التجاري وبرزت العائلات الكثيرة التي استقرت في مواني مصر الشمالية وقامت بدور مزدوج في التجارة والعمل البحري منها عائلة عمر بن سلامة الذي اشتغل رئيسًا لسفينة بين جربة والإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة ومارس التجارة في الأقمشة والطرابيش الزيت[4]، وكان لفهم التجار التونسيون للظروف الاقتصادية والاجتماعية داخل القطر المصري دوره المهم في زيادة عوامل النجاح التجاري لهم فقد حرص عدد من التجار إلى الانتماء للأوجاقات العسكرية وبخاصة مستحفظات وعزبان من أجل حماية مصالحهم.

وقد أدرك كثير منهم خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر أن عملية الإثراء التجاري في مصر رهينة التحالف بين السلطة السياسة والهياكل الاقتصادية العامة، فلم يكن بإمكان التاجر الذي يريد الوصول لقمة الهرم الاقتصادي في مصر الاعتماد على الدورة الاقتصادية والجهود الفردية، بل كان عليه لدعم أوراقه التجارية الاتصال بالإدارة السياسية ودمج سياسته التجارية مع هذه السلطة[5].

المبحث الثالث: أساليب الإثراء التجاري للتونسيين

كان لفهم التجار التونسيون للظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المصري دور مهم في نجاحهم التجاري في مصر ، فعدد كبير من التجار فور هجرتهم إلى مصر حرصوا على الانتماء للأوجاقات لحماية تجارتهم التي تنوعت أشكالها وأنواعها ومنها :-

-1- تجارة التوابل :-

حيث تحتل مكانا مميزًا غاية التميز خلال هذه الفترة وظلت هذه التجارة محور تجارة الشرق لفترات طويلة وقد ظل الناس يستبد بهم شغف عارم بالفلفل والقرفة والقرنفل محوز الطيب وغيرها، وكانت أوربا أكثر شغفا بالتوابل بحكم موقعها

---

[1] عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج1، ص 470.
[2] سليمان محمد حسنين، تجارة القاهرة في القرنين 17/16م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص 35.
[3] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 78.
[4] الإسكندرية الشرعية، ص 67، م 263، بتاريخ 1133ه/1729م، ص 182.
[5] أحمد شلبي عبدالغني، المرجع السابق، ص 476.

الجغرافي وقد لعب التونسيون دورًا لا بأس به في تجارة التوابل، وأصبحت عوائده مهمة على الرغم من أن هذا النوع من السلعة قد أصبح يتأخر في المرتبة لكنه لم ينقطع وصولها عبر البحر الأحمر.

وعلى العموم فالثابت من الوثائق أن تجارة التوابل ساهمت في تراكم رأسمالي واضح لدى العديد من العائلات التونسية منذ منتصف القرن السابع عشر، وقد برزت عائلة الخواجا عبد العزيز الصفاقسي وأبنه علي الذي فاق والده في حجم أعماله التجارية خاصة في البن وبلغت تركته 8% في حين كان يمثل 42% من تركة والده[1]، وعند وفاته في سنة 1162هـ / 1748م بلغت ثروته التي تركها 288000 بارة[2]

2- تجارة الزيت :-

برزت العائلات التونسية في تجارة الزيت مكان لها دور رئيسي ومحوري في تجارته هي عائلة المنستيري؛ حيث عمل أفرادها وكلاء الباشا تونس وغيره من كبار تجارها؛ كما كونوا عددا من الشركات الضخمة مع ملتزمي الجمارك لجلب الحليب الزيت من تونس ويمكن أن ترى ضخامة وحجم الأعمال التجارية لهذه العائلة في تجارة الزيت من خلال تركة أحد أفرادها فهو الحاج محمد بن محمود المنستيري، حيث عمل الرجل قليلا لعلي باشا حاكم تونس الذي أرسل إليه في سنة 1781م حوالي 8291 قنطارا من الزيت كانت قيمتها 2743902 بارة إضافة إلى ذلك فقد كان الخواجا محمد قد أرسل 323000 بارة حواله عن الزيت الذي أرسل إلى الحرمين الشريفين لكي يباع في الحجاز .

كما كان يعمل أيضاً وكيلا عن الحاج مصطفى خوجه أحد أكبر تجار تونس الذي أرسل إليه في نفس العام 2578 قنطارا من الزيت كانت قيمتها 732354 بارة[3] كما كان للخواجا محمد المنستيري وكيلا في تونس لتخليص مصالحة التجارية كان يرسل إليه الزيت ويتلقى منه الكتاب والأرز والقطن وغيرها من السلع المصرية، وكانت جملة الموال التي تحت يدي هذا الوكيل فهو الحاج حمودة بن عمر القلعي 988400 بارة[4]، ولعل هذه الأعمال توضح ضخامة الدور الكبير الذي يلعبه الزيت في حجم التجارة بين مصر وتونس.

-3- القروض والاستثمارات الحرفية :-

كل مجتمع يجمع المال على نحو تراكمي؛ ويكون لنفسه رأسمال ينقسم إلى قسمين أولهما مكتنزة تظل بغير نفع مركونة تنتظر استخدامها كجواهر النساء والأحجار الكريمة وغير ذلك وثانيهما رأسمال ينساب كالمياه في قنوات الاقتصاد الاستثماري النشط في التجارة والحرف الصناعية، وكلما زادت نسبة هذه الأموال كلما زاد الاقتصاد نشاطاً والعكس صحيح أيضاً فكلما زادت نسبة الأموال المكتنزة بغير نفع تكون النتيجة بالضرورة وجود رأسمال مجمد وهو ما يؤدي إلى حدوث هبوط حاد في الفائدة على هذه الأموال[5].

وكلما زاد حجم رأس المال العامل زاد النشاط الاقتصادي وزيادة رأس المال العامل زيادة كبيرة في الطلب على الاقتراض وبالتالي ارتفاع الفائدة.

وقد ظلت نسبة الفوائد مرتفعة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر في مصر مع اندماج الأموال في مصر للتمويل التجاري؛ وأمام حاجة الأمراء والمماليك إلى الأموال نتيجة توسعهم في امتلاك مماليك من الرقيق من أجل تكوين بيوت مملوكية عسكرية تكون حامية لكل أمير منهم ، في صراعهم المحمول من أجل السلطة[6] لذلك فقد لجأ هؤلاء المماليك

[1] محافظ الدشت، س 296، م 518، بتاريخ 1171ه/1757م، ص 435.
[2] القسمة العسكرية، س 173، م 18، بتاريخ 1171ه/1757م، ص 10.
[3] اسكندرية الشرعية، س99، م 93، بتاريخ 1196ه/1781م، ص 80.
[4] المصدر نفسه، س 99، م 135، بتاريخ 1196ه/1781م. ص 117.
[5] فرناند بروديل، دراسات في النقود والحضارات، ضمن كتاب: بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطبعة دار الجامعات المصرية، 1961م، ج2، ص 512.
[6] محافظ الدشت، س 333، م 565، بتاريخ 1206ه/1781م، ص 399.

إلى كبار التجار لإمدادهم بالأموال ولم يكن أمامهم أمام عناد ورفض هؤلاء التجار تقديم القروض إليهم بدون ضمانات سوى رهن هذه الالتزامات[1] لديهم وسحب الأموال بفائدة مقدارها 20% وهي النسبة السائدة على الفائدة في سوق المال إبان هذه الفترة ومع تزايد نفقات الفئات العسكرية وعدم استطاعتهم الوفاء بديونهم وفوائدها كانت هذه الالتزامات قد آلت إلى التجار الذين وحدوا أنفسهم ، وقد تحولوا إلى ملتزمين للأرض[2]

ولم يشمل هذا النظام الاقراض الالتزام فقط بل أمتد إلى جميع ميادين الحياة، ولم يكن التجار التونسيون يقبلون تقديم القروض والأموال دون رهن ودون تحقيق مكاسب مالية مرتفعة[3]

ملحق يتضمن بعض الوثائق غير المنشورة، والتي تحصل عليها الباحث من الأرشيفات المصرية، وتم الرجوع إليها في هذا البحث.

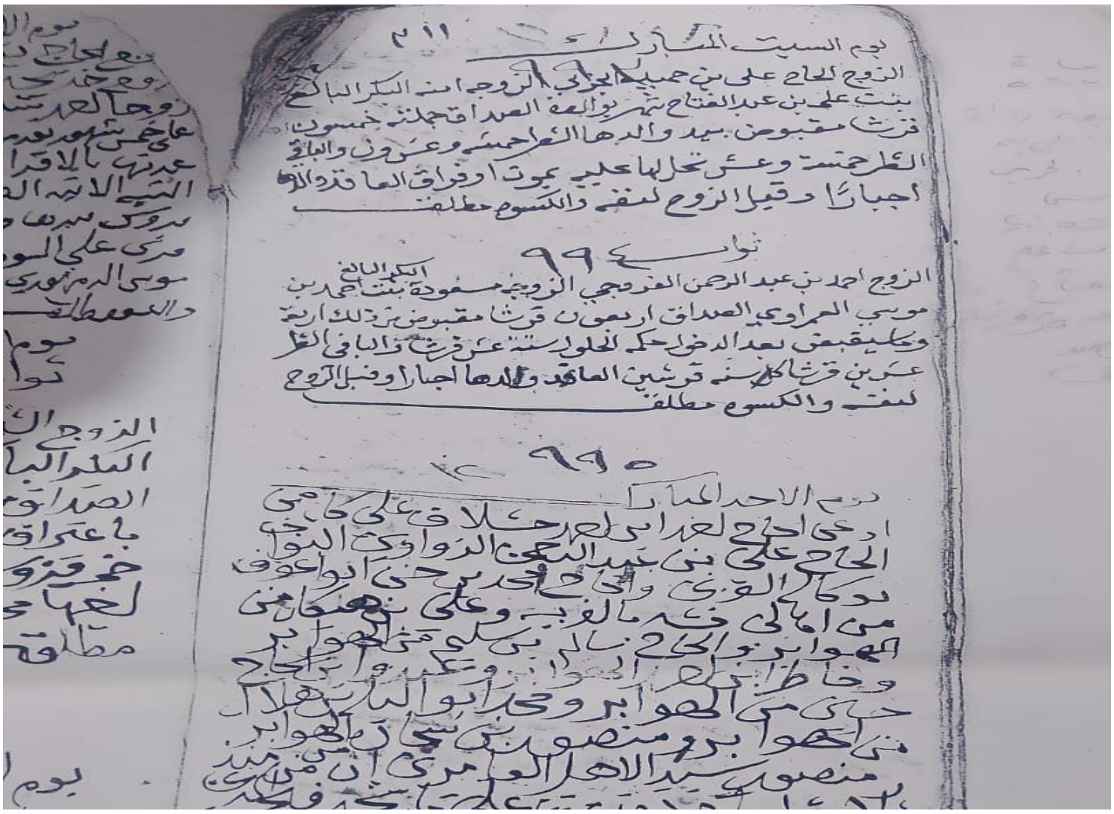

[1] أحمد شلبي عبدالغني، المرجع السابق، ص 159.
[2] الباب العالي، س 204، م 68، بتاريخ 1134ه/1721م، ص 333.
[3] الصالحية النجدية، س 520، م 68، بتاريخ 1020ه/1611م، ص 19.

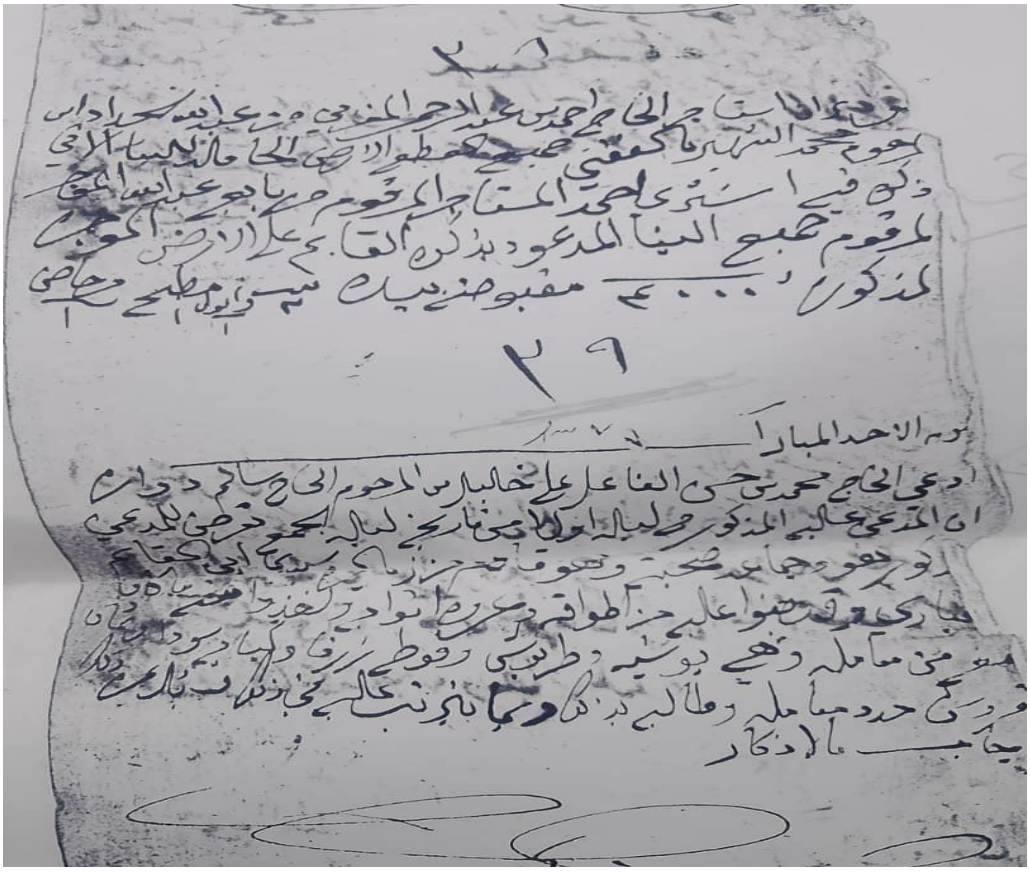

قائمة المصادر والمراجع

أولا الوثائق غير المنشورة :-

- سجلات القسمة العسكري
- سجلات الاسكندرية الشرعية
- سجلات محكمة بولاق الشرعية
- سجلات محافظ الدشت
- سجلات الصالحية النجدية
- سجلات الباب العالي

ثانيا المصادر والمراجع :-

- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، المؤنسي في أخبار أفريقية وتونس، نهضة تونس 1350هـ
- أبو القاسم أحمد الزياتي : الخبر عن أول دول الأشراق العلويين من أولاد مولانا الشريف بن على، المطبعة الجمهورية، باريس، 1886م .
- أحمد الشربيي و تاريخ التجارة المصرية في عصر الحربية الاقتصادية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1995م .
- احمد شلبي عبدالغني، اوضح الإشارات فيمن تولى في مصر من الوزراء والباشوات، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1978.

- أندريه ريمون. القاهرة: تاريخ حاضرة. ترجمة لطيف فرج. دار الفكر. ط1. القاهرة. 1994. ص 190.
- جليلة جمال القاضي وآخرون. رشيد: النشأة والازدهار. دار الآفاق العربية. القاهرة. 1999
- حسام محمد عبدالمعطي، العائلة والثروة: البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. 2008
- دي شايرول، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين: وصف مصر. ترجمة زهير الشايب. ج1. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1979
- سليمان محمد حسنين، تجارة القاهرة في القرنين 17/16م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003
- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة ، 1993م .
- عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، دت،
- عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1981م.
- فرناند بروديل، دراسات في النقود والحضارات، ضمن كتاب: بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطبعة دار الجامعات المصرية، 1961م، ج2،
- ليلى الصباغ، الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7، تونس 1977م.
- خالد المختار المجدوب. (2026). الدبلوماسيـــة الأفريقيـة في الاتفاقية الدولية: دراسة تحليلية في الإطار والآليات السلمية. *مجلة الفاروق للعلوم* , *2* (1), 1390-1415.
- ماري آن فاي، أواصر الرابطة النسائية والبيت في مصر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة مها حسان، ضمن كتاب: أميرة الأزهري سمبل، النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999،
- نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية، 1516-1570 ، تعريب يوسف عطا الله ، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1988م.
- نيللي حنا، تجار القاهرة في العصر العثماني، سيرة إسماعيل أبو طاقية شهبندر التجار ترجمة رؤوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997م .
- يونان لبيب رزق، العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1990م .

Sources & References

- Kenneth Mcuno, Atale of two villages family property and Economic Activity In rural Egypt In the Agriculture in Egypt from Pharaonic to modern Times, 1999.
- Walz, Tarence, Trade, Between, Egypt and Britain, al-Sudan 1700-1820, Cairo 1978.